مع اسرائيل سيؤدي الى تقارب البلاد العربية وليس الى مزيد من تفرّقها. أمّا رد الفعل الاسرائيلي، فان التنسيق بين المشرق ووادي النيل سيكون بمثابة مبرّر لشن حرب وقائية. وبقدر ما يمسّ هذا التنسيق مصالح قوى أجنبية مسيطرة في المنطقة، فانه يستنفرها للتدخل. وأكد المؤلف ان التجمّع الاقليمي الرائد والمؤثر والحاسم في الصراع مع اسرائيل، هو الذي يجمع مصر وسوريا على الأقل، ويتسع للعراق وليبيا والاردن ولبنان.

اما التسوية، في ظل هذا المشهد، فتنتقل من حالة اللاتسوية وتبتعد من التسوية كما تريدها اسرائيل، وذلك بسبب حدوث تغير نسبي لصالح العرب، لكنها لا تصبح هي الأفضل من وجهة نظر العرب، وتظل هدنة مقلقة. ان توازن القوى العربي ـ الاسرائيلي، في ظل مشهد التنسيق، سيفضي الى تسوية عند نقطة وسط تدور حول كيان فلسطيني في الضفة والقطاع مرتبط بالاردن.

٣ ـ الوحدة العربية: وهي وحدة فيدرالية تضمّ معظم الاقطار الرئيسة، ومعها بعض، أو كل، الاقطار الاخرى، ممّا يجعل الكيان الموحّد مهيمناً على مجريات الامور في الوطن العربي. وهذا المشهد ـ كما ذكر المؤلف ـ لا تتوافر له، في الحاضر، أسس فعلية، أو شكلية، ملموسة، وتتجسّد كل مقوّماته الراهنة في الأمل فيه والايمان بأنه الطريق الوحيد الى الخلاص من المحن الحالية. فهذا الاعتقاد بفاعلية الارادة السياسية الواعية المصحوبة بتأييد جماهيري واسع هو الذي يسمح بتصور امكان حدوث هذا المشهد.

وأهم الافتراضات التي ينطوي عليها هذا المشهد، هو امكان قيام قوة اقليمية ثورية لها من الثقل والمركزية والمصداقية ما يجعلها ذات تأثير عام على المنطقة كلها. ومصر، بما تضمّ من سكان واقتصاد وهياكل اجتماعية وموقع مركزي وقدرة عسكرية، هي المرشّحة لذلك. وأهم محدّدات الصراع في هذا المشهد، هي: القوة الذاتية لطرفي الصراع، أي «الكمّ العربي القابل للتطوّر الكيفي، والكيف الاسرائيلي غير القابل للتطور الكمّي». فالوحدة تضمن احتواء اسرائيل، وتوافر عمق عربي وفاعلية عربية. وفي هذا طرح المؤلف فكرة ان أكثر الاحتمالات المؤاتية لنشوء القوة الاقليمية التي تشكّل قاعدة للوحدة في مصر يرتبط بتبلور نخبة سياسية مدنية ذات توجّه علماني تمثّل، أساساً، مصالح البرجوازية الوطنية، وترى في الوحدة العربية الامكانية الوحيدة لانجاز مشروع للنهضة، مصري وعربي في آن. وقيام دولة الوحدة سيعني قيام قوة كبرى في المنطقة تقلب حسابات القوى العظمى ازاءها. «وهذه الدولة ستواجه تحدي العلاقة العضوية بين اسرائيل واميركا، لكنها ستكون في وضع يسمح لها بالتنسيق الفعّال مع السوفيات». ويتيح هذا المشهد لدولة الوحدة تحقيق تفوّق عددي حاسم على قوات اسرائيل في جميع المجالات، والتقدّم، نوعياً، في المجال النووي مع مرور الزمن.

والتسوية، في ظل الوحدة الشاملة، هي النقيض الكامل للوضع الراهن؛ اذ تصبح التسوية وفقاً للشروط العربية، وتصبح اسرائيل مرغمة على التسليم بالكيان الفلسطيني المستقل في الضفة وغزة، بل وينتقل التناقض بين اليهود والعرب في اسرائيل ذاتها الى مستوى جديد. حينئذٍ، فان ما سيسود هو السلام العربي، الذي يجعل من اسرائيل نتوءاً هامشياً، ويطلق العقال لقوى المنطق التاريخي لتأخذ مداها في امتصاص الجسم الصهيوني الدخيل.

والحق انه يمكن الاختلاف حول بعض الطروحات الواردة في الكتاب؛ مثلاً حول القوة القادرة على تحويل مصر الى قاعدة للوحدة، أو التقديرات العسكرية للأطراف العربية، أو حدوث تغيّرات جذرية عالمية، كحرب شاملة مثلاً؛ لكن يظل الاختلاف مع منطق الكتاب كله أمراً صعباً، فالمقولات التي يطرحها وجيهة تماماً، والمبررات التي يسوقها قوية تماماً، أيضاً.

كمال سيّد محمد